الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
وموقفه من علم الكلام

دراسة وتحليل



تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد




الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
وموقفه من علم الكلام

ح شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحمد، محمد بن إبراهيم بن حمد
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وموقفه من علم الكلام (دراسة وتحليل). / محمد بن إبراهيم بن حمد الحمد - ط ١، الرياض ١٤٤٣ هـ
٩٦ ص؛ ١٤x٢٠ سم
ردمك: ٥-٦٧-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الإبراهيمي، محمد البشير ٢- علم الكلام - نقد أ. العنوان
ديوي ٢٤٠،٩٠١ ٤٧٤٨ / ١٤٤٣

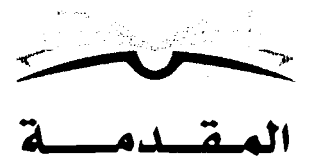
رقم الإيداع: ١٤٤٣/٤٧٤٨
ردمك: ٥-٦٧-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨
البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن نعمة العقيدة الإسلامية، ووضوحها، ويسرها، وسهولة تعلمها ـ لنعمة كبرى؛ إذ هي موافقة للفطرة القويمة، والعقول السليمة، بعيدة عن التناقض، والاضطراب، واللبس؛ حيث يشترك كافة الخلق في إدراكها؛ فيفهمها العالم، والعامي، والكبير والصغير؛ فهي كالغذاء الذي ينتفع به الإنسان، بل كالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي؛ فينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي، والضعيف[1].

---

(١) أشار إلى هذا المعنى ابن الوزير اليماني، انظر كتابه: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٣٤٨.

ولقـد أدرك ذلك جيـل الصحابة؛ لقـرب العهد، ومباشـرة التلقي من مشكاة النبوة التي هي مظهر كل نور، ومنبع كل خير، وأسـاس كل هدى؛ فكانوا أسـلم الناس فطرة، وأقلهـم تكلفاً، وأعظمهم إيماناً، وأزكاهم نفوساً.

ثم سـلك أَثَرَهُـمْ التابعون لهم بإحسـان؛ فاقتفـوا طريقهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعـوا إليه، ومضوا إلى ما كانوا عليه[١].

وبعد ذلك دب في هذه الأمة داء الأمم، فركبت سنن من كان قبلهـا؛ فدخلـت فلسـفاتُ اليونـانِ والهنـدِ وفـارس، وضلالاتُ أهلِ الكتابِ بلادَ المسـلمين، وحدث انقلاب في كثير مـن الاعتقادات، وجـرت محاولات التوفيـق بين الدين والفلسـفة، وتسـلط سـيف التأويل علـى نصوص الشـريعة؛ فحدثـت بـدع، وشـاعت ألفـاظ دخيلـة، وتكدر وجـه الحق بشـوائب الباطـل، وخفيـت بعـض معالـم الهـدى بسـبب ما أُحدث مـن مصطلحات غريبـة الوجه واليد واللسـان عن دين الإسلام، ولغة القرآن.

---

(١) انظر شفاء العليل في مسـائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية ص ٤.

لذا هبَّ علماء الإسلام والسنة ـ على وجه الخصوص ـ لمنازلة المخالفين، والرد عليهم بالحجة والبينة والعدل والرحمة.

وإن من تلك الطليعةِ الظافرةِ الشيخَ العلامةَ السلفيَّ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (١٣٠٦ ـ ١٣٨٥هـ) إذ كانت له إسهامات في الذبِّ عن عقيدة السلف، والرد على المخالفين فيها؛ حيث قام بإصر تلك المهمة الجليلة طيلة سنيّ عمره، يُسعده في ذلك بيانه الساحر، وعلمه الموسوعي، وغيرته الصادقة.

ومن جملة ما كان من ذلك موقفه من علم الكلام؛ حيث تعرض له في مواضع من آثاره، وأوضح موقفه منه.

وهذا ما سيكون عليه مدار هذا البحث الذي جاء حاملاً المسمى التالي (الشيخُ محمد البشير الإبراهيمي وَمَوْقِفُهُ من علم الكلام ـ دراسة وتحليل).

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى التعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتجليةِ موقفه من علم الكلام، وتحديد معالم ذلك الموقف.

أهمية البحث: للبحث في هذا الموضـوع أهمية علمية في ميدان الدراسات العقدية، يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ أنـه يبحـث فـي ناحيـة مـن نواحـي شـخصية علميـة موسـوعية فـذّة لهـا حضورهـا المميـز فـي الأوسـاط العلميـة والفكريـة فـي البـلاد العربيـة والإسـلامية؛ فهو رئيـس جمعية العلماء في الجزائر، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة، وعضو المجمع العلمي في دمشق.

٢ ـ كـون هذه الشـخصية محـلَّ التقديرِ والثناء لـدى أكابر العلماء في عصره، كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وسماحة الشـيخ عبد العزيز بـن باز، وعلامة الشـام الشـيخ محمد بهجة البيطار، والعلامة الدكتور بكر أبو زيد، وغيرهم.

٣ ـ أن تلك الشـخصية اتسـمت بسلامة المشـرب، واتصفت بالعلم الشرعي المتين، والبصيرة النافذة في قضايا الاعتقاد والفكر.

٤ ـ الحاجـة لمعرفـة موقـف الإبراهيمي من علـم الكلام؛ ذلك أن له تقريراتٍ وأراء في ذلك الشأن.

ومع ذلك لا توجد دراسة تحدد موقفه من تلك القضية.

خطة البحث: تتألف خطة البحث من المقدمة، وما تخللها من ديباجة البحث، والتعريف به، وبيان أهدافه، وأهميته وتقسيماته.

تقسيمات البحث: جاء هذا البحث مشتملاً على تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصيات وذلك كما يلي:

تمهيد: تعريف بعلم الكلام.

المبحث الأول: حياة الشيخ الإبراهيمي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأته.

المطلب الثاني: أعماله، وصفاته، وعقيدته، وعلومه.

المبحث الثاني: موقف الإبراهيمي من علماء الكلام.

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: إنكاره ما أحدثوه من التأويل.

المطلب الثاني: تحسره على ما أضاعوه من جهد في علم الكلام.

المبحث الثالث: موقفه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية، وبيانُه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة.

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: موقفُه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية.

المطلب الثاني: بيانُه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة.

خاتمة البحث: وفيه خلاصة لأهم نتائج البحث.

التوصيات: وقد اشتملت على بعض المقترحات التي تصلح للبحث العلمي، والدراسة العقدية في آثار الشيخ الإبراهيمي.

فإلى بيان ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي: ١١٩٣٢ ـ ص.ب: ٤٦٠

١٠/١١/١٤٤٢هـ

جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.M-ALHAMAD.COM

M@M-ALHAMAD.COM

@M__ALHAMAD

تمهيد: تعريف بعلم الكلام

علم الكلام مصطلـح يَرِدُ كثيراً في كتـب العقائد، والفرق، والمذاهب.

والحديث عنه في هذا المقام سيكون من خلال ما يلي:

أولاً: مفهوم علم الكلام باعتبار مفرديه

علم الـكلام يتركب مـن كلمتين: (علم) و(الـكلام)، وفيما يلي بيان لمفهوم كل واحدةٍ منهما بمفردها:

١ ـ مفهـوم مـادة (عِلْـم): هذه المـادة تدور ـ فـي أصلها ـ حول التميز.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المادة: «العين، واللام، والميم: أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره»[١].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ١٠٩/٤.

ومـن ذلـك: العلامة، وهـي معروفـة، يقـال: علَّمـت على الشيء علامة، والعَلَم: الراية، والعَلَم: الجبل، وكل شيء يكون مُعَلَّما: خلاف المجهل.

والعِلْم: نقيض الجهل، يقال: عَلِم علماً[1].

فهذا هو تعريف المادة في أصلها الوضعي اللغوي.

أما تعريـف العِلم بمعناه **الاصطلاحـي** فقد عرف بتعريفات عدة متقاربة.

فقيل: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقيل: هو إدراك الشيء على ما هو به.

وقيل: هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات[2].

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم كلمة ـ علم ـ.

وهـذه الكلمـة قد تتخصـص بحسـب ما تضاف إليـه، كما يقال: علم النحو، وعلم الطب، وعلم الهندسة، ونحو ذلك.

---

(١) انظر المرجع السابق ١٠٩/٥ ـ ١١٠، ولسان العرب لابن منظور ٤١٧/١٢ ـ ٤١٨.

(٢) انظر التعريفات، للجرجاني ص ١٥٥، وانظر الكليات للكفوي ص ٦١٠.

٢ ـ **مفهوم مادة (الكلام)**: أصل هذه المادة: (كلم) قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ : «الكاف، واللام، والميم أصلان: أحدهما يدل على نُطق مُفْهِم، والآخر على جراح»[١].

ثم بين معنى الأصل الأول ـ وهو المراد ههنا ـ فقال: «فالأول: الكَلام: تقول: كلَّمته، أُكلِّمه، تكليماً، وهو كَلِيمي إذا كلمك، أو كلمته.

ثم يتَّسِعون؛ فيسمون اللفظة الواحدة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة ـ بطولها ـ كلمة، ويجمعون على كلمات، وكلِماً، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]»[٢].

فهذا هو خلاصة ما تدور حوله مادة (كلم) في أصلها الوضعي اللغوي.

أما معناها **الاصطلاحي** فيختلف باختلاف ما تُضاف إليه، أو ما يَتعارف عليه أهلُ كلِّ فنٍّ، وذلك كما في اصطلاح

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٣١، وانظر لسان العرب ١٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٥، والكليات ص ٧١٠، و٧٤٢، و٧٥٦، ٧٥٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٣١.

النحويين، إذ يعرفون الكلام بأنه: المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام[١].

ويعرفون الكلمة بأنها: كل لفظة دلت على معنى مفرد بالوضع[٢].

وهكذا الحال بالنسبة لعلماء الكلام؛ فإن لهذا المصطلح عندهم مفهوماً خاصاً ـ كما سيأتي بيان ذلك في المسألة الثانية ـ.

وبهذا يتبين معنى كلٍّ من مادتي: (عِلْم) و(الكَلام) على حِدَةٍ.

ثانياً: مفهوم (علم الكلام) باعتبار تركيبه

مصطلح (علم الكلام) في حال تركيبه يفيد معنىً خاصاً يتميز به إذا ذكر في كتب الاعتقاد، والمقالات.

ثم إن تعريفه يختلف باختلاف النظرة إليه؛ إذ المتكلمون يرون أن علم الكلام مرادف لعلم العقيدة؛ فتراهم يسمون علم العقيدة علم الكلام.

---

(١) انظر التعريفات ص ١٨٥.

(٢) انظر الكليات ص ٧٤٢.

ويَعْنـون بـه ذلـك العلـم الـذي يبحث فـي أصـول الدين، وما جرى مجـراه مما يُبْحث فـي كتب الاعتقـاد، معتمدين فيه على ما يقتضيه العقل المحض.

أما علماء السـنة فيرون أن ذلك الإطلاق حادث، ومن هنا اختلفت النظرة لذلك العلم.

ومهما يك من شيء فهذه جملة من التعريفات لعلم الكلام يُتَوصَّل من خلالها إلى مفهومه.

١ ـ عرفه أبو حيان التوحيدي مبينـاً ما يدور حوله ذلك العلـمُ بقولـه: «وأما علم الـكلام فإنه مـن بـاب الاعتبار في أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين، والتقبيـح، والإحالـة، والتصحيـح، والإيجـاب والتجويـز، والاقتـدار والتعجيـز، والتعديـل والتجويـر، وفـي التوحيـد والتكفير.

والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به، وجليل يُفْزع فيه إلى كتاب الله ـ تعالى ـ فيه»[١].

---

(١) رسالة أبي حيان في العلوم، لأبي حيان التوحيدي ص ٢١.

٢ ـ وعرفه الجرجاني بقوله: «علم يُبحث فيه عن ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد، على قانون الإسلام»[١].

٣ ـ وعرفه ـ كذلك ـ بقوله: «علم باحث عن أمور يُعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة، والنار، والصراط، والميزان، والثواب والعقاب»[٢].

٤ ـ وقال ـ أيضاً ـ عنه: «وقيل الكلام: هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة»[٣].

٥ ـ وعرفه ابن خلدون بقوله: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية»[٤].

والتعريفات الماضية لعلم الكلام تجعله مرادفاً لعلم العقيدة.

٦ ـ وعرفه الشيخ محمد بن عثيمين بقوله: «هو ما أحدثه

---

(١) التعريفات ص ١٨٥، وانظر الكليات ص ٨٦٨.
(٢) التعريفات ص ١٨٥.
(٣) التعريفات ص ١٨٥.
(٤) التاريخ لابن خلدون ص ٣٥٠.

المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة»[١].

وهو بهذا التعريف يبيِّن وجه الخلل في علم الكلام، وهو الإعراض عما جاء في الكتاب والسنة، وذلك بتحكيم العقل فحسب، واستعمال ألفاظ مجملة لم ترد في الشرع.

أما الجمع بين العقل والنقل فذلك مما جاءت به الشرائع؛ إذ العقل الصحيح لا ينافي النقل الصريح[٢].

ثالثاً: سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم

أما سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم فذلك مما تضاربت حوله الأقوال، ومما قيل في ذلك ما يلي:

١ ـ أن عنوان مباحث المتكلمين في العقائد كان: (الكلام في كذا وكذا...).

٢ ـ لأنه يورث قدرةً على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم؛ فهو كالمنطق للفلسفةِ، والمنطقُ مرادفٌ للكلام.

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٧٦.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٩٩ ـ ٢٠٠، والعقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي ص١٢ ـ ١٥.

٣ ـ لأن هـذا العلم لا يتحقق إلا بالمباحثـة، وإدارة الكلام من الجانبيـن على حين أن غيره من العلوم قـد يتحقق بالتأمل، ومطالعة الكتب.

٤ ـ لأنه أكثر العلم خلافاً، ونزاعاً؛ فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين، والرد عليهم.

٥ ـ لأنه؛ لقوة أدلته صار كأنـه هو الكلام دون ما عداه من الكلام.

٦ ـ أنـه؛ نظـراً لقيامه علـى الأدلـة القطعية المؤيـد أكثرها بالأدلة السـمعية كان أكثر العلوم تأثيراً بالقلب؛ فسـمي الكلام بذلك مشتقاً من الكَلْم وهو الجرح.

٧ ـ أنه سـمي بذلك؛ لأن أول خلاف وقع فـي الدين كان في كلام الله ﷻ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتكلَّم الناس فيه؛ فسمي هذا النوع من العلم كلاماً، واختص به.

٨ ـ لأن هذا العلم كلام صِرْفٌ، وليس تحته عمل[١].

---

(١) انظر المواقف في علم الكلام للإيجي ص٧، ومفتاح السعادة، ومصباح السيادة، لطاش كبري زاده ٢/ ١٣٢، والمعتزلة لزهدي جارالله ص٢٤٦.

فهذه جملة من الأسباب التي قيل: إن علم الكلام سمي بهذا المسمى لأجلها.

وعلى كل حال فإن علم الكلام قد اشتهر، وعُرِفَ، وصار له مدلوله الخاص الذي يُعرف به، ويميزه عن غيره.

رابعاً: موقف السلف من أهل الكلام

لقد كان للسلف الصالح موقف من أهل الكلام يتمثل في ذمهم، وزجرهم، والتنفير من صنيعهم، وبيان ما هم عليه من الحيرة والاضطراب.

وكلامهم في ذلك يطول، ويكفي في هذا المقام إيراد لما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى، معلقاً على قول من فضَّل طريقة الخلف على طريقة السلف، قال بعد كلام طويل: «كيف يكون هؤلاء المتأخرون ـ لاسيما والإشارة بالخَلَفِ إلى ضرب من المتكلمين ـ الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ في معرفة الله حجابُهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه مرامهم، حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلَّها

وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلـم أرَ إلا واضعـاً كـفَّ حائـرٍ
علـى ذقـنٍ أو قارعـاً سـنَّ نـادم[١]

وأقروا على نفوسـهم بما قالوه متمثلين أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم[٢]:

نـهـايـة إقــدام الـعـقـول عقال
وأكثـرُ سـعيِ العالميـن ضـلالُ
وأرواحنـا في وحشـة من جسـومنا
وغـايـةُ دنـيـانـا أذىً ووبــالُ
ولم نسـتفدْ مـن بحثنا طـول عُمْرِنا
سـوى أَنْ جَمَعْنـا فيـه قيـل وقالوا

لقـد تأملت الطـرق الكلاميـة، والمناهج الفلسـفية فما رأيتها تشـفي عليلاً، ولا تُروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق

---

(١) هذان البيتان ينسبان للشهرستاني، وبعضهم ينسبها لابن سينا، انظر مفتاح السـعادة ١/ ٢٩٩، وانظر وفيـات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمـان ٤/ ٢٧٤، ودرء تعارض العقل والنقل لابـن تيمية ١/ ١٥٩، ومنهاج السـنة النبوية لابن تيمية ٥/ ٢٧١.

(٢) هو الفخر الرازي. انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠، وانظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٠.

طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠].

ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[١]»[٢].

إلى أن يقول ابن تيمية مواصلاً الكلام على حيرة المتكلمين: «ويقول الآخر منهم[٣]: (لقد خضت البحر الخضمَّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه.

والآن إن لم يتداركني الله برحمة منه فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي).

---

(١) الكلام إلى هنا ومن بداية الأبيات كله من كلام الرازي الذي نقله عنه ابن تيمية.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٣) هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، ذكر ذلك السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٦٠، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٧، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٣/ ٣٦١.

ويقـول الآخـر منهـم[1]: (أكثـر النـاس شـكّاً عنـد الموت أصحاب الكلام)»[2].

وبالجملـة فالـكلام في ذمّ السـلف للـكلام وأهلـه يطول، والمقام لا يتسع للبسط[3].

وبهذا ينتهـي هذا التمهيـد الـذي دار حـول التعريف بعلم الكلام.

* * *

(١) أشـار ابن تيمية فـي موضـع آخر إلـى أن القائـل أبو حامد الغزالـي. انظر نقض المنطـق لابن تيميـة ص٢٥، وانظر نحـواً من هذا فـي إحياء علوم الدين للغزالي ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) الفتوى الحموية ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) انظـر الفتـوى الحمويـة ص١٩٦ ـ ٢٠٠، و٥٥٥ ـ ٥٥٦، وانظـر حلية الأولياء ٩/١١٦، والحجة في بيان المَحجة للأصبهاني ١/٢٠٨، وإحياء علوم الدين ١/٩٥ ـ ١٠٤.



المبحث الأول

حياة الشيخ الإبراهيمي

لقد ترجم الشيخ الإبراهيمي لنفسه في أكثر من مناسبةٍ، وأراح مَنْ بَعْدَه من عناءٍ كثير.

وفيما يلي لُمَعٌ من نشأته من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: نشأته

أولاً: اسمه ونسبه: يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في ذلك: «أنا محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية ذات أفخاذ وبطون تعرف بـ(أولاد إبراهم) وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح الأطلس الأكبر الشمالية المتصلة بقمم جبال أوراس من الجهة الغربية، وكل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري»[1].

---

(١) انظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله د. أحمد طالب الإبراهيمي٥/ ١٦٣، و٥/ ٢٧٢.

إلى أن يقول: «وتجتمع قبيلتنا مع هذه القبائل السبع في يحيى بن مساهل ذي النسب الشريف المتواتر بالسماع الفاشي، والثابت عند أئمة النسّابين أمثال الإمام عبد الرحمن الصبّاغ البجاوي صاحب كتاب الفصول المهمة[١].

ثانياً: مولده: يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن مولده: «ولدتُ عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام ١٣٠٦هـ الموافق للثالث عشر جوان ١٨٨٩م، سمعت ذلك من عمي الآتي ذكره، وقرأته بخط جدي الأدنى على ظهر كتاب من كتبه سجل فيه مواليد الأسرة ووفياتها، وفيها مواليد أخواتي اللاتي ولدن قبلي، ولم يعش لوالدي من الذكور غيري»[٢].

ثالثاً: تعلمه: نشأ الشيخ في أسرة علم، وقد وهبه الله حافظة خارقة، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عن السلف، وكانتا معينتين له في العلم في سنٍّ مبكرة.

يقول الشيخ البشير عن نشأته، وبداية طلبه للعلم: «نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأت التعلم وحفظ

---

(١) الآثار ٥/١٦٣.

(٢) الآثار ٥/١٦٣.

القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا، الشائع في بلدنا.

وكان الذي يعلمنا الكتابـة، ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا من حفاظ القرآن، ويشرف علينا إشرافًا كلـيًّا عالم البيت، بل الوطـن كله فـي ذلك الزمـان عمي شـقيق والـدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان حامـل لـواء الفنون العربيـة غير مدافع؛ مـن نحوها، وصرفها، واشتقاقها، ولغتها.

أخذكل ذلـك عن البقيـة الصالحة مـن علماء هـذه الفنون بإقليمنا»[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثاً عن طريقة عمه في تعليمه: «فلما بلغت سـبع سـنين استلمني عمي من معلمي القرآن، وتولـى تربيتي وتعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة، حتى في ساعات النوم؛ فكان هـو الذي يأمرنـي بالنوم، وهـو الذي يوقظنـي على نظام مطرد في النوم، والأكل، والدراسة.

---

(١) الآثار ٥/ ٢٧٣.

وكان لا يُخلِيني من تلقينٍ حتى حين أخرج معه، وأماشيه للفسحة، فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن مع استمراري في حفظ القرآن؛ فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه»[١].

ثم ينتقل إلى الكلام على المحفوظات التي حفظها في مِيَعة صباه بعد حفظه للقرآن، فيقول: «وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك، ومعظم الكافية له، وألفية ابن معطي الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، وأحفظ جمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ورقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب، وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن أبي الخصال، وأبي المطرف ابن أبي عميرة، وابن الخطيب»[٢].

---

(١) الآثار ٥/ ٢٧٣.

(٢) الآثار ٥/ ٢٧٣.

ويواصل الكلام على باقي محفوظاته التي وعاها في تلك الفترة، فيقول: «ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول المشارقة، ورسائل بلغائهم، فحفظت صدراً من شعر المتنبي، ثم استوعبته بعد رحلتي إلى المشرق، وصدراً من شعر الطائيين[1]، وحفظت ديوان الحماسة، وحفظت كثيراً من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان.

وفي عنفوان هذه الفترة حفظت بإرشاد عمي كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني، وكتاب الفصيح لـ: ثعلب، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب ابن السكيت.

وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في مَلَكتي اللغوية»[2].

ويقول في موضع آخر عن محفوظاته: «ولقد حفظت وأنا في تلك السن ـ الرابعة عشرة ـ أسماء الرجال الذين تَرجم لهم نفح الطيب، وأخبارهم، وكثيراً من أشعارهم؛ إذ كان كتاب نفح

(١) يقصد بهما أبا تمام، والبحتري.

(٢) الآثار ٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

الطيب[١] ـ طبعة بولاق ـ هو الكتاب الذي تقع عليه عيني في كل لحظة منذ فتحت عيني على الكتب»[٢].

ثم يقول مبيناً ما كان عليه من قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ: «وما زلت أذكر[٣] إلى الآن مواقع الكلمات من الصفحات، وأذكر أرقام الصفحات من تلك الطبعة.

وكنت أحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد، مما يحقق ما نقرؤه عن سلفنا من غرائب الحفظ»[٤].

---

(١) يعني به: كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، الشهير بالمقري المغربي.

(٢) الآثار ٥/ ١٦٥.

(٣) يقول هذا الكلام وعمره ٦٦ عاماً.

(٤) الآثار ٥/ ١٦٥، وقد كان كثيراً ما يستعمل هذه القدرة الخارقة في الدعابة والطرفة التي كانت تزيّن مجالسه، وتدخل البهجة والسرور على من يحضرها. ومن القصص في ذلك السياق أنه حَدَثَ أَنْ ألقى بحضرته أحدُ الشعراءِ قصيدةً من نظم ذلك الشاعر، فحفظها الشيخ بمجرد سماعه لها.
وعندما جلس الشاعر بعد أن صفق له الحاضرون إعجاباً بتلك القصيدة قام الشيخ البشير، وقال: إن هذه القصيدة نظمتها بنفسي، ولكن الشاعر سرقها مني، ونسبها إلى نفسه، ولأبرهن لكم أنها من نظمي ها أنذا ألقيها على مسامعكم، ثم قام، فألقاها كما قالها صاحبها، فبهت الشاعر، وعجب =

رابعاً: رحلته إلى المشـرق العربي: بعد موت عمه خلفه فـي الدروس علـى تلامذتـه وغيرهم، ولـه من العمـر أربع عشـرة سـنة، واسـتمر على ذلك إلى أن جاوز العشرين من عمره.

ثم رحـل بعد ذلـك إلـى المدينـة النبويـة هـو ووالده، مهاجرين فراراً من الاسـتعمار الفرنسـي، فكان من مدرسي الحـرم النبوي الشـريف، وتلقـى فيها علـم التفسـير، وعلم الحديـث روايـةً ودرايـةً، وعلم الرجـال، وأنسـاب العرب، والمنطق، ومكث في المدينة قريباً من ست سنين، ثم انتقل إلى دمشـق فـي أثنـاء الحـرب العالميـة الأولى؛ فـكان من أسـاتذة العربية في المدرسة السلطانية مدة سـنتين في عهد حكومة الاستقلال العربي.

وقد كان لرحلته إلى المشرق أثرٌ بالغٌ في صقل شخصيته، وبزوغ نجمه، وذيوع صيته.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى رجع إلى بلده الجزائر، وبقي فيها ينشر العلم في فترات منقطعة إلى سنة ١٩٣١م.

= الحاضرون، ثم أخبرهم الشـيخ بالحقيقة، فعجبوا من سـرعة حفظه. انظر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أديب ألمعي، وخطيب مصقع، ص٤٣.

ويرجع الفضل ـ بعد الله ـ إليه وإلى الشيخ عبد الحميد بن باديس[١] في تكوين جمعية العلماء في الجزائر[٢].

---

(١) هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، وقد ذكر في ترجمته في كتاب آثار ابن باديس ١/ ٧٢ أنه ولد في سنة ١٣٠٨هـ، وأن ما ذكره الزركلي في الأعلام ٤/ ٦٠ أنه ولد سنة ١٣٠٥هـ غير صحيح.
والحقيقة أن ما ذَكَره الزركلي هو الصحيح، وأن ما ذُكِر في ترجمته في آثاره غير صحيح؛ بدلالة أن رفيقه، وصديق عمره، وشريكه في التعليم والتأسيس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المولود في ١٤ شوال ١٣٠٦هـ، يقول عن ابن باديس: «ومع أننا لِدَتان في السن يكبرني الشيخ بنحو سنة وبضعة أشهر». انظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٥/ ٢٧٨.
وقد كان ابن باديس الابن الأكبر لأبويه، وأسرته أسرة قسنطينية، مشهورة بالعلم، والثراء، والجاه، وكان من العلماء البارزين الداعين للتوحيد، المحاربين للبدع، والضلال، وكان له الدور الأبرز هو والشيخ الإبراهيمي في نهضة الجزائر العلمية والإصلاحية. انظر آثار ابن باديس، إعداد د. عمار الطالبي ١/ ٧٢ ـ ١٢١، والتاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢م، تأليف د. عمار بوحوش ص ٢٤٤ ـ ٢٦٥.

(٢) انظر الآثار ٥/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

المطلب الثاني:
أعمالُه، وصفاتُه، وعقيدتُه، وعلومُه

أولاً: أعمالـه: كان رَحِمَهُ اللهُ فـي طليعـة العامليـن علـى إحياء العلوم الدينية والعربية في الجزائر من الابتدائية إلى العالية.

وكان أبـرز المشـيدين لأربعمائة مدرسـة في مـدن الجزائر وقراها.

وكان فـي طليعـة المجاهدين في سـبيل الإصـلاح الديني، ومحاربة الدجل، والبدع، والخرافات، والشركيات.

وكان مـن الشـجعان الحكمـاء الذيـن يُـحسـب لهـم ألف حساب، ومواقفه في ذلك لا تكاد تحصر.

وكان شديد العناية بقضايا المسلمين في شتى البلدان، وعلى رأسها قضية فلسطين، وكذلك قضية كشـمير، وقضايا المسلمين عموماً، فلقد كان يتابع تلك القضايا بدقةٍ، وسبر، وتأثير.

ولم تكـن تلك القضايا لتشـغله من قضيته الأسـاس، وهي قضية تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي الغاشم[1].

---

(١) انظر الآثار ٥/٢٧٨ ـ ٢٨٨، وانظر التاريخ السياسي للجزائر ص ٢٦٥ ـ ٢٧٩.

ثانيـاً: صفاتـه: كان الشـيخ الإبراهيمـي ذا شـخصية فـذة، وصفـاتٍ متميـزة؛ حيـث أوتـي مواهـب كثيـرة، فـكان خطيبـاً مِصْقعاً، وشـاعراً مُفْلِقاً، وكاتباً لا يكاد أحـد يدانيه في وقته في بلاغتـه، وبيانـه السـاحر، وتفننه في ضـروب الكلام، يشـهد له بذلك كل من عرفه، وقرأ له.

وقد حدثني الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ مراراً أنه أفاد من الإبراهيمي كثيراً في أسلوبه في الكتابة.

وكان الشـيخ البشـير ذا نفسٍ مرهفـةٍ، وخلقٍ عـالٍ، وأدبٍ جمٍّ، ووفاءٍ منقطع النظير.

وهذه الصفات العظيمة جعلت له المحل الأرفع عند عامة معاصريه وخاصتهم؛ إذ كان وجيهاً عند الحكومات الإسلامية، وعند علماء المسلمين، وعامتهم.

ثالثاً: عقيدته: الشيخ الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ سـلفي العقيدة، جارٍ على ما كان عليه السلف الصالح.

وقـد عُـرِف بذلـك، وكان يصرح به بـكل اعتزاز في شـتى المناسبات.

وكلامه في ذلك كثير.

ومن ذلك ما جاء في أرجوزته الطويلة الماتعة التي وجهها إلى علماء نجد: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وأخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمهما الله ـ وعنوانها (تعليم البنت) وفيها استنهاض لهم على تعليم البنات، وأن يكون ذلك تحت رعايتهم، والتي يقول طالعها:

قـد كنت في جِنِّ النَّشَـاط والأشـرْ
كأنَّنـي خرجـتُ عَـن طـورِ البَشَـر
وكنـت نَجْـدِيَّ الهوى مـن الصغرْ
أهيـمُ فـي بَـدْر الدُّجـى إذا سَـفَرْ
وَأَتْبَـعُ الظَبْـيَ إذا الظبـيُ نفـرْ
أَنْظِـمُ إنْ هَـبَّ نسـيمٌ بِسَـحَرْ

إلى أن يقول بعد عدة أبيات مُبيناً عن عقيدته:

....

عَقيدَتـي فـي الصّالحـات مـا أُثِـرْ
عَـن أحمـدٍ[1] ومـا تَرَامَـى وَنُشِـرْ
مِـنْ سِـيَرٍ أَعلامُهـا لَـمْ تَنْدَثِـر

---

(١) يعني النبي ﷺ.

وَسُـنَنٍ مـا شَـانَ رَاوِيهَـا الحَصَـرْ
قـد طابقـت فيهـا البصيـرةُ البَصَـرْ
وما أَتـى عَنْ صَحْبـهِ الطُّهْـرِ الغُرَر
والتَّـابـعيـنَ المُقْتَـفِيْـن للأَثَرْ
وقائـدي فـي الديـن آيٌ وأَثَـر
صَـحَّ بـرَاوٍ مـا وَنَـى وَلا عَثَـر
وَمَذهبـي حُـبُّ عَلِـيٍّ وَعُمَـر
والخلفـاءِ الصَّالحيـن فـي الزُّمـرْ
هـذا وَلا أخصُرُهُـمْ في اثني عَشَـر
لا[1] ولا أَرْفَـعُـهـمْ فـوق البشر
وَلا أنَـالُ وَاحـداً مِنهـم بِشَـرْ
(وشـيعتي فـي الحاضرينَ) مَنْ نَشَـر
دَيـنَ الهُـدَى وذبَّ عَنـهُ وَنَفَـرْ
لِعِلْمِـهِ وَفْـقَ الدَّليـل المسـتَطَرْ
حَتَّـى قَضَى مـن نُصْرة الحـقِّ الوطر
هم شِـيْعَتِي فـي كلِّ ما أَجـدَى وضَرْ

---

(١) لعلها ـ في الأصل ـ: كلا؛ ليستقيم وزن البيت.

وَمَعشَري في كل ما ساءَ وَسَرّ

وَعُصبتي في كلِّ بدوٍ وحضَر

إلى آخر ما قاله في تلك الأرجوزة[١].

ومما يبيِّن ما كان عليه من العقيدة الصحيحة، واتباع السلف الصالح، ووقوفه أمام الانحرافات العقدية أمور كثيرة مبثوثة في مواضع شتى من آثاره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ اعتداده بالسلف الصالح، وتنويهه بشأنهم، ودعوته إلى اتباع سبيلهم، والأخذ بطريقتهم، والتسليم للكتاب والسنة[٢].

٢ ـ ثناؤه على أئمة الإسلام المتبعين لطريقة السلف، كالإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام محمد بن عبد الوهاب، والإمام الشوكاني، وغيرهم[٣].

---

(١) انظر الآثار ٤/ ١٣١ ـ ١٣٤.

(٢) انظر الآثار ١/ ١٦، و٢٥، و٢١٠، و٢٨٤ ـ ٢٨٥، و١/ ١٣٥، و٣١٨، و٣٢٣، و٣٦٢، و٣٧٧، و٢/ ٢٧٧، و٣/ ٥١، و٥٤٤، و٥/ ٨٧.

(٣) انظر الآثار١/ ١٢٣ ـ ١٢٤، و١٦٨، و١٨١، ١٨٨، و١٩٤، و٣٣٥، و٢/ ٢٢٧، و٢٩٤، و٣٦٢، و٤/ ١١٣، و٥/ ٣١٤ ـ ٣١٥، و٥١ ـ ٥٢، ١٩٥.

٣ ـ وقوفه أمام الطرقية الصوفية، ومواقفُه، وأقواله في ذلك كثيرة جدًّا[١].

٤ ـ مواجهته للتنصير، ومدارسه، وشبه المنصرين، وبيانُه العلاقةَ بين الاستعمار، والتنصير، والاستشراق[٢].

٥ ـ مواجهته للإلحاد، وتحذيره منه، وبيانه لأسبابه، وطرق علاجه[٣].

٦ ـ وقوفه أمام مظاهر الشرك، ونفوره من البدع، وتحذيره منها، ومواجهته لها[٤].

---

(١) انظر الآثار ١/ ٣٩ ـ ٤٠، و١٣٨ ـ ١٣٩، و١٤٧، و١٥١، و١٨٠ ـ ١٨٢، و١٨٦ ـ ١٨٨، و١٩١، و١٩٥، و٢٦٢، و٢٨٨، و٢٩٥، و٣٨٣، و٤٠٧، و٣/ ٣٠١، و٣٠٨، و٣٤١، و٥١٩، و٥٤١، و٣٥٨.

(٢) انظر الآثار١/ ١٩٦، و٢/ ١١٤، و٣/ ٨٠ ـ ٨٣، و٩٥، و١٢٥، و١٣٦، و١٧٨، و٢١٨، و٢٥٠، و٣٥١ ـ ٣٥٧، و٤/ ١٦٩، و٣/ ١٥١، و٣٥٧، و٤/ ٢٨٨، و٥/ ٢١٩، ٢٣٧، و٢٩٣.

(٣) انظر الآثار ١/ ١٩٤ ـ ١٩٦، و٢/ ٢٣٢، و٣/ ١٢٨، و٢٧١، و٤/ ٦٧، و١٧٠، و٢٠٢، و٢٣٢.

(٤) انظرالآثار١/ ٣١، و٤٢ ـ ٤٣، و٦٠، و٦٤، و٨٥ ـ ٨٦، و١١٦ ـ ١٢٤، و١٣٧، و١٦٤ ـ ١٦٧، و١٧٤، و١٨٢ ـ ١٨٣، و١٨٨، و١٩٤، و٢٨٩، و٣١٥، و٢/ ٣٤١، و٣٤٣، و٣/ ٥٦، و١٣٧، و٢٨٧، و٣٠٩، و٣١٩، و٤/ ٤١، و٤٥، و٥٠، و٢١٦، و١٩٥، و٢٣١، و٢٧٨، و٢٨٢، و٢٨٩.

إلى غير ذلك مما يؤكد سلفيته، وسلامة مشربه.

رابعاً: علومه: ١ ـ موسوعيته: مرت الإشارة إلى ما كان يتمتع به من علم غزير، وحفظ كثير، وذاكرةٍ طَيِّعة، وحافظةٍ خارقة.

ومما يوضح ما كان عليه من سعة العلم، وتنوع المعارف أنه كان عالماً بالحديث وروايته؛ حتى إنه كان يمنح الإجازات في ذلك.

وكان مفسراً للقرآن في دروس عمومية، ودروس للطلبة الخواص، أتى فيها بإبداعات سجلتها عنه ذاكرة الرجال، وإن لم تجمعها المكتوبات.

وكان مُعَلِّماً للتاريخ الإسلامي في براعة وتحليل، وسعة نظر؛ حيث تطرق إلى فلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع، والأخلاق؛ لينير التاريخ بمنظار الإسلام.

وكان ـ مع هذا كله ـ قدوة في سهولة المعاملة، والاتصال، بشوشاً، مرحاً في مجلسه، واسع الصدر في ممارسة المسؤوليات، متدفق الحيوية في الأنشطة الثقافية[1].

وكان ـ أيضاً ـ متميزاً بثقافة عصرية عالية.

---

(١) انظر الآثار ١/١٦ ـ ١٧.

يقول ابنه الدكتور أحمد: «سألني في إحدى ليالي عام ١٩٤٨م وأنا بقسم الفلسفة في خاتمة تعليمي الثانوي عن آخر درس تلقيته في علم النفس، فأخذ رأس الموضوع، وشرح لي آراء (وليم جامس) أحد مؤسسي المذهب العملي (البراجماتي[١])، وتحدث عن كثير من مفكري الغرب ممن لم أكن أسمع بهم قبل ذلك اليوم مثل: داروين، وجون لوك، وجون ستيوارات.

كما أوضح لي مساهمة العلماء المسلمين في كثير من الجوانب»[٢].

---

(١) نسبة إلى الفلسفة البراجماتية، وتىسمى الذرائعية، أو الوسائلية، وهي ـ في الأساس ـ اتجاه يتعلق بنظرية المعرفة التي ظلت متأثرة بالجواب عن السؤال المطروح: متى تكون الأفكار صادقة مهمة؟ وتجيب عن ذلك ـ على اختلاف اتجاهاتها ـ بأن أهمية الأفكار وصدقها بحسب منفعتها.
وقد ظهرت في أمريكا، وتطورت في إنجلترا.
وأشهر دعاتها وليم جامس ١٨٤٢م ـ ١٩١٠م، الذي يعد مؤسسها الحقيقي، وشللر الإنجليزي ١٨٦٤م ـ ١٩٣٧م، وجون ديوي الأمريكي ١٨٥٩م ـ ١٩٥٢م.
انظر تفصيل ذلك في الفلسفة المعاصرة في أوربا، أ ـ م: بوشنسكي، ترجمة د. عزت قرني، ومدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة د. محمد مهران رشوان.

(٢) الآثار ١/ ١٨.

٢ ـ مؤلفاته: لقد كان الإبراهيمي طوال حياته مشغولاً بقضية بلاده الجزائر، وتخليصها من الاستعمار الفرنسي.

وكان مهتمًا بتربية أبناء جيله، وتعليمهم، وإحياء الإسلام والعربية في نفوسهم.

وهذا ما صرفه عن التأليف الذي لو التفت إليه لربما أتى بالعجب العجاب.

ومع ذلك فقد ألف مؤلفات عدة، وأكثرها ضاع، ولم يبق منها إلا القليل.

وهو ما يوجد في آثاره التي جمعها، وعني بها ابنه الدكتور أحمد، وجاءت في خمسة مجلدات، وهي مليئة بالعلم، حافلة بالمعارف، جديرة بالدراسة، والتحليل من جوانب شتى.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالتعلم، والتعليم، والجهاد فارق الدنيا عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

رحم الله الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

* * *





المبحث الثاني

موقف الإبراهيمي من علماء الكلام

علماء الكلام هم الذين يخوضون في مسائل أصول الدين على نحو ما ذكر في التمهيد إجمالاً؛ فهم الذين يخوضون في مسائل الوحدانية، والمعاد، وإثبات النبوات، والوعد، والوعيد، والإيجاب على الله ﷻ والتجويز، وهو قولهم: لو عَذَّبَنا الله على ما خلقه فينا لكان جائزاً، وإنما يعذبنا على ما نخلقه نحن[1]، وأنه يجوز على الله تعذيب ملائكته وأنبيائه، وأهل طاعته، وإكرام إبليس وجنوده، وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم.

ولا ريب أن هذا قولٌ باطل صار عن نفي الحكمة والتعليل؛ ذلك أن حكمة الله ﷻ تأبى ذلك قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

---

(١) انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص٢٢٧ ـ ٢٥٦، و٢٥٧ ـ ٢٧٠، و٢٧٣ ـ ٣١٣، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ص٢٨ ـ ٢٩، وشرح جواب ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر للطوفي ص٢٤ ـ ٢٦، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة، د. قدرية عبد الحميد شهاب الدين ص٨٤ ـ ٨٦.

ويخوضون ـ كذلك ـ في القدر ويقولون بنفيه، ويسمون ذلك عدلاً، ويبحثون كذلك في التوحيد، ويَعْنُون به نفي الصفات عن الله ﷻ إلى غير ذلك ممن يخوض به أهل الكلام معتمدين في ذلك على الأدلة العقلية، مقدمين لها على الأدلة السمعية على تفاوتٍ بينهم في القرب من السنة والبعد عنها[١].

وهؤلاء العلماء ينتسبون إلى فرق عِدة، وطوائف شتى كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان[٢]، والمعتزلة[٣]، والأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري[٤].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني ص٥٦٣.

(٢) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ١/٤٢٦، ولسان الميزان لابن حجر ٢/٥٠٠ ـ ٥٠١.

(٣) المعتزلة: وصف يطلق على الفرقة التي ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل هو وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري؛ فسموا معتزلة. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٢٨ ـ ٢٩.
ثم صار لهم آراء، وأضحوا فرقاً شتى، واجتمعوا على أصول خمسة: وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. انظر تفصيل ذلك في المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق، وانظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف شفيق غربال ص٦٦٨.

(٤) انظر في تفصيل الكلام على أبي الحسن وأطواره إلى سير أعلام النبلاء =

ولقد كان للشيخ الإبراهيمي موقف من أولئك العلماء، يتجلى من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول:
إنكاره ما أحدثوه من التأويل

والمقصود بالتأويل الذي ينكره الشيخ الإبراهيمي هو ذلك المصطلح الحادث الذي ابتدعه المتكلمون.

وقبل الدخول في بيان موقفه من التأويل الحادث يحسن الوقوف حول مفهوم مصطلح التأويل؛ فأصل هذا المصطلح هو مادة (أَوَل).

وهذه المادة تدور حول معاني: الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير.

وهذا يعني أن تأويل الكلام: هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وإلى حقيقة ما أخبر به[1].

= ١٥/ ٨٦ ـ ٨٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي٣/ ٣٤٧، والأعلام لخير الدين الزركلي٥/ ٦٩، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن المحمود١/ ٣٢٩ ـ ٤٣٤.

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٦، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٥٨.

فهذا هو معنى التأويل في أصله الوضعي.

أما معناه الاصطلاحي، فقد صار ـ بتعدد الاصطلاحات ـ مستعملاً في ثلاثة معان:

أحدها: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يقترن به.

وذلك مثل تأويل معنى (يد الله) بـ: النعمة، والقدرة، وكتأويل معنى (استواء الله على عرشه) بـ: الاستيلاء، وهكذا...

وهذا المعنى هو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله، وهو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل هو محمود، أو مذموم، أو حق أو باطل؟[١].

الثاني: التفسير: وأصل هذه المادة مادة (فسر).

وهي تدور في لغة العرب حول معاني البيان، والكشف، والوضوح[٢].

---

(١) انظر التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٩١ ـ ٩٥.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٥٠٤.

وفي الاصطلاح هو بيان المعنى الذي أرداه الله بكلامه[1].

وهذا المعنى من معاني التأويل ـ وهو التفسير ـ هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: (واختلف علماء التأويل)[2].

والنصوص الواردة عن السلف في هذا الصدد كثيرة لا تكاد تحصر، ومنها قول الشافعي في كتابه (الأم) في أكثر من موضع: «وذلك ـ والله أعلم ـ بيّن في التنزيل، مستغنىً به عن التأويل»[3].

الثالث: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام: كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وهو معنىً معروفٌ عند السلف، وهو عين ما هو موجود في الخارج ـ أي الواقع ـ وتأويله خبراً كان أم إنشاءً[4].

---

(١) انظر مفهوم التفسير والتأويل، والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد الطيار ص ٥٤.

(٢) انظر التدمرية ص ٩٢.

(٣) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٧/٣١٩، وانظر ٢/٢٨، و٤/٢٤٤.

(٤) انظر التدمرية ص ٩٦.

والحاصل من ذلك أن المعنيين الثاني والثالث، معنيان شرعيان صحيحان معروفان عن السلف.

وأما المعنى الأول فهو حادث لم يكن معروفاً عند السلف.

والذي ينصرف إليه الذم مِنْهُ عند الكلام على ذم التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بلا دليل صحيح.

وبناءً على ذلك فإن الشيخ الإبراهيمي ممن أنكر هذا المصطلح، وأبان أنه حادث، ابتدعه علماء الكلام؛ فكان من جراء ذلك ما كان من الجناية على النصوص، وصرفها عن حقائقها الصحيحة بلا دليل صحيح.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلام له عن فلسفة جمعية العلماء في الجزائر، وذلك عند كلامه على بدء تفرق المسلمين: «أقام سلفنا الصالح دين الله كما يجب أن يقام، واستقاموا على طريقته أتم استقامة، وكانوا يقفون عند نصوصه من الكتاب والسنة لا يتعدونها، ولا يتناولونها بالتأويل»[1].

---

(١) الآثار ١/ ١٦٣.

ثم أوضح طريقتهم التي كانوا يفهمون بها القرآن، فقال: «وكانت أدواتُهم لفهم القرآن: روحَ القرآن، وبيانَ السنة، ودلالةَ اللغة، والاعتباراتِ الدينيةَ العامةَ.

ومن وراء ذلك فطرة سليمة، وذوق متمكن، ونظر سديد، وإخلاص غير مدخول، واستبراء للدين قد بلغ من نفوسهم غايته، وعزوف عن فتنة الرأي والتأويل»[1].

وبعد أن بيَّن بداية ما ظهر من المسائل التي خاض فيها المتكلمون كالقدر، والصفات قال مبيناً حقيقة التأويل الحادث: «فظهر أصحاب المقالات في العقائد، وأحدثوا بدعة التأويل الذي حقيقته تحريفٌ مسمىً بغير اسمه»[2].

وقال في موضع آخر في معرض كلام له حول طرائق المفسرين في فهم القرآن، وأساليبهم في كتابة تفسيره، قال: «ومقلدة المذاهب يفسرون القرآن بقواعد مذهبهم، ويحكِّمونها فيه؛ فإذا خالف نصُّه قاعدةً من قواعدهم ردوه بالتأويل إليها[3]»[4].

---

(١) الآثار ١/ ١٦٣.

(٢) الآثار ١/ ١٦٤.

(٣) ٢ ـ يعني إلى القواعد التي وضعوها.

(٤) ٣ ـ الآثار ٢/ ٢٥٠.

ثم قال مشدداً النكير على هذا الصنيع: «وهذا شر ما أصيب به هذا العلم[١]، بل هو نوعٌ من التعطيل، وباب من التحريف والتبديل»[٢].

ثم علل لذلك بقوله: «لأنه ـ في حقيقة أمره ـ وضع لكلام الله في الدرجة الثانية من كلام المخلوق.

وهي منزلة الفرع من أصله يُرَدُّ إليه إذا خالفه»[٣].

ثم قال مبيناً عِظم هذه الجناية: «وأَعْظِمْ بها زلةً، وإن هذه الزلة هي الغالبة من صنيع المفتتنين بالمذاهب، والمتعصبين لها؛ يتباعدون من القرآن ما شاء لهم الهوى؛ فإذا تناولوه فبهذه النظرة الخاطئة»[٤].

وهكذا يتبين إنكار الشيخ الإبراهيمي لبدعة التأويل، وما يترتب عليها من الجناية على النصوص.

---

(١) يعني علم تفسير القرآن.

(٢) الآثار ٢/ ٢٥٠.

(٣) الآثار ٢/ ٢٥٠.

(٤) الآثار ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

المطلب الثاني:
تحسُّره على ما أضاعوه من جهد في علم الكلام

لقد أبان الشيخ الإبراهيمي عن حسرته، ولهفته، وأسفه على ما أضاعه علماء الكلام من جهد، وما صرفوه من أوقات في سبيل علم الكلام الذي يرى أَنْ لا طائل تحته، ولا فائدة ترجى من ورائه.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ موازناً بين ضرر علم الكلام ونفعه: «ونحن إذا وازنَّا بين ما أجداه علينا علم الكلام، وبين ما خسرناه بسببه ـ وجدنا الخسارة تربو على الربح»[1].

ثم يعلل لذلك بأن الطريقة السليمة هي طريقة القرآن التي سار عليها السلف الأول، لا ما قرره المتكلمون فيقول: «فتوحيد الله مقرر في القرآن بأجلى بيان، وأكمل برهان، وصفاته لا يطمح طامح أن يأتي في إثباته بأكمل مما جاء به القرآن، وطريقة القرآن في التنزيه أقوم طريقة، وقد جرى عليها الصحابة؛ فكانوا أكمل الناس توحيداً مع أنهم لا يعرفون الجوهر، والعرض، وهل يبقى زمانين[2]؟ ولا الكم،

---

(١) الآثار ١/١٦٧.

(٢) الجوهر، والعَرَض: مصطلحان يدوران كثيراً في كتب أهل الكلام؛ فالجوهر هو والذات، والماهية، والحقيقة: ألفاظ متقاربة مترادفة. =

ولا الكيف[1] بمعانيها الفلسفية الدقيقة»[2].

= والعَـرَض: واحد الأعـراض، وهـو ما لا ثبات لـه، أو هو ما ليـس بلازم للشـيء، أو هـو ما لا يمتنع انفكاكـه عن الشـيء، كالفرح للإنسـان، فهو عرض؛ لأنه لا ثبات له؛ فهو عارض يعرض، ويزول.

والعَرَض عند المتكلمين: ما لا يقوم بنفسـه، ولا يوجد إلا في محل يقوم به، ومنه اسـتعار المتكلمون العَرَض لما لا ثبات لـه إلا بالجوهر كاللون والطعم.

فالجوهر ـ إذاً ـ خلاف العرض؛ فالجوهر: ما كان قائماً بنفسـه كالجسـم مثلاً.

والعَرَض: مـا كان قائماً بغيـره كالأمثلة الماضية، وكبياض الثلج، وسـواد القار؛ فهي قائمة بغيرها، لا بنفسها.

ولهذا يقول بعضهم: الجسـم ما كان مركبـاً من المادة والصـورة؛ فالمادة ههنا: جوهر، والصورة عرض.

وقوله: هل يبقى زمانين: هـو من أقوال المتكلمين فـي تعريفهم للعرض، حيث قال بعضهم: هو ما لا يبقى زمانين. انظر تفصيل ذلك في التعريفات ص٧٩، والكليـات، ص٣٢٤ ـ ٣٤٧. والمصبـاح المنيـر للفيومـي ص٤٠٢ ـ ٤٠٤، ومجمـوع فتـاوى شـيخ الإسـلام ابن تيميـة ٥/٢١٦، و٩/ ٣٠٠.

(١) المقصـود بالكـم ههنا: هـو العرض الـذي يقتضي الانقسـام لذاتـه. انظر التعريفات ص١٨٧.

والكيـف: هيئة قارَّة في الشـيء لا تقتضي قسـمة، ولا نسـبة لذاتـه. انظر التعريفات ١٨٨.

(٢) الآثار ١/ ١٦٧.

ثم يعقِّب على ذلك منكراً تلك الجهود التي تبذل في ذلك السبيل؛ فتذهب سدىً، فيقول: «وعلى هذا فما معنى إضاعة الوقت، وإعنات النفس في معرفة هذا العلم المسمى بعلم الكلام؟!»[1].

ثم يذكر ـ على سبيل الفرض ـ أَنْ لو كان هذا العلم المستحدث ذا قواعد طبيعية لا تنقض، كقواعد الحساب، أو الهندسة مثلاً ـ لَـخَفَّ ما يلقى الناس من تعلمه من عناء.

ولكن ـ كما يقول ـ رأينا تلك القواعد تتهاوى في المناظرات القولية، أو القلمية كفقاقيع الماء؛ فلا يكاد يبني الباني حتى ينبري له هادم ينقض ما بنى، ويُتَبِّر ما علا[2].

---

(١) الآثار ١/١٦٧.

(٢) انظر الآثار ١/١٦٧، وكلامه ههنا قريب مما قرره ابن قتيبة، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثاً عن أهل الكلام، مُبيناً عن كثرة اختلافهم، وافتراقهم: «وقد كان يجب ـ مع ما يدَّعونه من معرفة من القياس، وإعداد آلات النظر ـ أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسّاب، والمُسّاح، والمهندسون؛ لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد، وإلا على شكل واحد، وكما لا يختلف حُذّاق الأطباء في الماء، وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد.
فما بالهم أكثر الناس اختلافاً، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين؟. =

ثم يلتفت آسـفاً متحسـراً على ما صَرَفَهُ علماء الكلام فيه من جهد ووقت، وتفكير، مع فرط ذكائهم، وقوة فهومهم، فيقول: «فوا أسفاه على تلك الحملات العنيفة التي كانت جهاداً، ولكن في غير عـدوٍّ، ووالهفاه على ذلـك النقع المثار، وقد انجلـى عن غير فتح ولا غنيمة، وواحسرتاه على ذلك الذكاء الذي كانت تكاد تشِف له

= فـ(أبو الهذيـل العـلاف) يخالـف (النظـام) و(النجـار») يخالفهمـا، و(هشـام بن الحكم) يخالفهـم، وكذلك (ثمامة)، و(مويس) و(هاشـم الأوقـص) و(عبيد الله بن الحسـن) و(بكـر العمي) و(حفـص) و(قبة) وفلان وفلان.

ليس منهم واحد إلا وله مذهب في الدين يدان برأيه، وله عليه تبع.

قال أبو محمد: ولو كان اختلافهم في الفروع والسـنن لاتسـع لهم العذر عندنـا ـ وإن كان لا عذر لهم مع ما يدَّعونه لأنفسـهم ـ كما اتسـع لأهل الفقه، ووقعت لهم الأسوة بهم.

ولكن اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله ـ تعالى ـ وفي قدرته، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله ـ تعالى ـ.

ولن يعدم هذا من رد مثل هذه الأصول إلى استحسانه، ونظره، وما أوجبه القياس عنده؛ لاختلاف الناس فـي عقولهم وأرادتهم، واختياراتهم؛ فانك لا تكاد ترى رجلين متفقين، حتى يكون كل واحد منهما يختار ما يختاره الآخـر، ويُـرَذِّل ما يرذله الآخـر ـ إلا مـن جهـة التقليد». تأويـل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص ٢٠ ـ ٢١.

حجب الغيب؛ ذكاء أبي بكـر الباقلاني[1]، وفخر الدين الرازي[2]،

---

(١) هو القاضـي الأصولي أبو بكـر محمد بن الطيب بـن محمد بن محمد بن جعفر بن قاسـم البصري ثم البغـدادي، المشـهور بالباقلاني، مالكي يعـد من أكابر أئمة الأشـاعرة، بعد أبي الحسن الأشـعري، لم يعرف تاريخ ولادته، وقد توفي سنة ٤٠٣هـ، وكانت جنازته مشهودة.
وكان ثقةً إماماً بارعاً، يضرب المثـل بفهمه وذكائه، لـه مؤلفات في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهميـة، والكرامية، وله آراء في الصفـات، وفي مفهـوم النبـوة، والمعجـزة، والكرامة، وخـوارق العادات عمومـاً، وقـد بثهـا فـي كتابـه (البيـان). انظـر وفيـات الأعيـان لابـن خلكان٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية٤/ ١٧، و٣٥٠، وسـير أعلام النبلاء ١١/ ١٩٠ ـ ١٩٣.
قال عنه ابن تيمية: «وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثلُه، لا قبله، ولا بعده». الفتوى الحموية الكبرى، ص٥٠٩.
وقد ناقشـه ابـن تيمية فـي كتابـه (النبـوات) مناقشـة مطولة فـي آرائه في المعجـزات، والكرامـات، وخـوارق العادات عمومـاً، وما جاء فـي كتابه (البيان) وبيَّن ابن تيمية أوجه مخالفته للسلف. انظر النبوات لابن تيمية.

(٢) هو أبو عبـد الله محمد بن عمر بن الحسـين بن الحسـن بن علـي التيمي البكـري المعروف بفخر الـرازي، والفخر الـرازي، وابـن الخطيب، وابن خطيب الري، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، وقيل: ٥٤٣هـ، وتوفي في هراة سـنة ٦٠٦هـ. شـافعي من كبار متأخري الأشـاعرة، صنف كتباً مشـهورة كتفسيره (مفاتيح الغيب) وله مؤلفات في علم الكلام، وكان واعظاً، بارعاً بالعربية والفارسـية. انظر طبقات الشـافعية الكبـرى ٨/ ٨١ ـ ٩٦، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٣/ ٣٤٠. =

وأبي الهذيل[١]، وابن المعلم[٢]، وقد ضاع فيما لا تعود على الإسلام منه عائدة، ولا تَنْجَرُّ له منه فائدة»[٣].

ثم يضرب مثالاً على ذلك بأحد هؤلاء العلماء الأذكياء من علماء الكلام، مبيناً عظم جناية علم الكلام عليه،

= وله آراء كلامية مخالفة للسلف في الصفات، والنبوات، وغيرها، وقد ناقشه، ورد عليه ابن تيمية في كثير من تلك الآراء في عدد من كتبه، خصوصًا في النبوات، وبيان تلبيس الجهمية.

(١) هو أبو الهذيل محمد، ويقال: حمدان بن الهذيل العلاف العبدي، نسبة إلى عبد القيس، وكان مولاهم، ويلقب بالعلاف؛ لأن داره في البصرة كانت في العلافين، ولد عام ١٣٥، وتوفي ٢٣٤، أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل، وواصل بن عطاء، وأبي هاشم، وإليه تنسب الطائفة الهذيلية من المعتزلة. انظر المنية والأمل، لأحمد بن يحيى المرتضى ص٤٦، و١٥٤، و١٥٧، والفَرْق بين الفِرَق لعبد القاهر البغدادي ص١٢١.

(٢) هو محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيعي، ويكنى بأبي عبد الله، ويعرف بالشيخ المفيد، وبابن المعلم؛ لأن أباه كان معلماً بواسط، قيل: إنه ولد سنة ٣٣٦هـ، وقيل سنة ٣٣٨هـ، بقرية تدعى سويقة ابن البصري.
اشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبد الله المعروف بـ(جُعَل) وكان بارعاً مقدماً في صناعة الكلام، ومن كبار متكلمي الشيعة، وله مؤلفات عِدة، وقد توفي سنة ٤١٣هـ. انظر الفهرست لابن النديم ص١٩٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٤٤، ولسان الميزان ٦/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٣) ٤ ـ الآثار ١/ ١٦٧.

فيقول: «وإنك لتطالع تفسير الرازي مثلاً؛ فتلمح من جملته ذكاءًا يَشِــعّ، وقريحةً تَتَّقِد، وألمعيَّةً تـكاد تنتزع منك بناتِ صــدرك، فتظن أن سيكشــف لــك عــن الجهـات المتصلة بنفســك مــن القــرآن، ويجلــي لــك ســنن الله فــي الأنفس والآفاق»[١].

ثم يُبِيْنُ الشيخ الإبراهيمي عن حسرته على خيبة ما أمَّلَه من ذلك؛ فيقـول: «وإذا الظن يخيب، والفأل يكـذب؛ إذ ترى تلك القوى مصروفة إلى جهة غير التي تريد، وترى الرجل وقد غُلب على ذكائه، وجرفته العادةُ التـي تملَّكته إلى الآراء، والعقليات، وإثارة الشبهات[٢]»[٣].

إلى أن يقول مبيناً ما أوصله إليـه علم الكلام: «وترى ذلك الذهنَ العاتـي يتخبط في مضائـق هي دون قدر القـرآن، ودون قيمـة ذلك الذهن، حتـى لَيُسِـف؛ فيزعم لك ـ مثـلاً ـ أن أولي

---

(١) الآثار ١/١٦٧.

(٢) كما يُذكر عن الـرازي أنه يورد الشُـبه، ولا يَرُدُّ عليها، وأنـه كان يقرر في مسـائل كثيرة مذهب الخصوم، وشـبههم بأتم عبارة؛ فإذا جاء في الإجابة اقتنع بالإشارة. انظر الذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي ص٦٨.

(٣) الآثار ١/١٦٧.

العلم في قولـه ـ تعالى ـ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، أهل الأصول[١]»[٢].

ثم يبيِّن سبب ما وقع به الرازي، وأضرابه من ذلك، وأن مرَدَّه إلى وَلَعَهم بعلم الكلام، ومباحثه؛ فيقول: «ونحن نعتقد أن الرجل وأمثاله من الأذكياء ما أُتوا إلا من غرامهم بهذه المباحث الكلامية، واستهتارهم[٣] فيها»[٤].

---

(١) ونصُّ كلام الرازي في ذلك قوله: «المسألة الثانية: المراد من ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ في هذه الآية: الذين عرفوا وحدانيته بالدلائل القاطعة؛ لأن الشهادة إنما تكون مقبولة إذا كان الإخبار مقروناً بالعلم، ولذلك قال ﷺ: (إذا علمت مثل الشمس فاشهد).
وهذا يدل على أن هذه الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست إلا لعلماء الأصول». التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٧ ـ ١٧٩.
والحديث الذي ذكره: «إذا علمت مثل الشمس...» رواه الحاكم ٤/ ٨٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٦٩) وقال ابن حزم في المحلى (٨/ ٥٣٤): «وهو ضعيف، لكن معناه صحيح».

(٢) الآثار ١/ ١٦٧.

(٣) يعني: وَلَعَهم.

(٤) الآثار ١/ ١٦٨، وكلام الإبراهيمي ههنا قريب من كلام ابن تيمية عن أهل الكلام؛ حيث قال في آخر الفتوى الحموية عن أهل الكلام عمومًا: «أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاءً، وأعطوا فهومًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة؛ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء». الفتوى الحموية ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦.

ويُقْسِم الشيخ الإبراهيمي يميناً أن تلك الجهود التي تفرقت على الكلام لو تألفت على جهة عقلية أخرى لفتحت في العلم فتحاً أغرَّ زاهراً، ولتعجلت به الفخر للإسلام وأهله[1].

هـذا وقد قـرر نحواً مـن ذلك فـي مقدمـة كتـاب (العقائد الإسـلامية) للشـيخ عبد الحميد بـن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ بعـد أن أثنى علـى طريقـة السـلف فـي تقريـر العقيـدة، وأن علماء السـلف يرجعون إلى القرآن، ويحكِّمونه في شـتى شؤونهم؛ فلا تتحرك منهـم حركة إلا بأمره ونهيـه؛ وأن ذلك هو السـر في علو كلمة الإسلام، وسرعة انتشاره في المشارق والمغارب[2].

وبعد أن قـرر ذلـك التفت إلى علـم الكلام، ومـا كان من علماء الـكلام في ذلك الصدد، فقـال: «فلما تفرقـت المذاهبُ الفقهيـة، ونشـأ علـمُ الـكلام، وتفرقـت مَنَازِعُـه بين الأشـاعرة والمعتزلـة، وطَمَا علـمُ الجدل، وتفرق المسـلمون شـيعاً حتى أصبـح كل رأي في علم الـكلام أو الفقـه يتحزب لـه جماعة؛ فيصبـح مذهباً فقهيـاً أو كلامياً يلتف حوله جماعـة ويجادلون؛ فضعف سلطان القرآن على النفوس، وأصبح العلماء لا يلتزمون

(١) انظر الآثار ١/ ١٦٨.

(٢) الآثار ٥/ ٣١٥.

في الاستدلال بآياته، ولا ينتزعون الأحكام منها إلا قليلاً؛ فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل، والفقهاء يستدلون بكلام أئمتهم، أو قدماء أتباعهم»[١].

إلى أن قال: «ومن هنا نشأ علم الكلام، وعلم الفقه، وعلى هذه الطريقة ألفت المؤلفات التي لا تحصى في العِلْمين، وانتشرت في الأمة، وطارت كل مطار»[٢].

ثم بين بعد ذلك ما قام به أئمة الكلام من توسيع دائرة الطريقة العقلية، وأن هؤلاء الأئمة جماعة معروفون كالفخر الرازي، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي المعالي الجويني[٣]، وغيرهم[٤].

---

(١) الآثار ٥/ ٣١٥.

(٢) الآثار٥/ ٣١٥.

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، المكنى بأبي المعالي، والملقب بإمام الحرمين، (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، ولد في جوين في نيسابور، ورحل إلى بغداد، ثم مكة، ثم المدينة، ثم عاد إلى نيسابور، ومات فيها، وهو أحد أئمة الشافعية والأشاعرة.
انظر تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر ص٣٧٨ ـ ٣٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٦٥ ـ ٢٢٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ١٧ ـ ١٨.

(٤) كالبيضاوي، وسعد الدين التفتازاني، والقاضي عضد الدين الإيجي.

وأوضح أن هؤلاء هم الذين ثبَّتوا القواعد الكلامية، والاستدلال على التوحيد بالعقل، وأن مؤلفاتهم ما زالت إلى يومنا هذا مرجعاً للمتكلمين بهذه الطريقة، وأنها جارية على الأصول التي أصَّلها أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

فهذا ـ إذا ـ هو موقفه من علماء الكلام، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث التالي.

* * *

(١) انظر الآثار ٥/ ٣١٥.

المبحث الثالث

موقِفُه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية، وبيانُه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة

المطلب الأول: موقفُه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية

مر في المبحث الماضي بيان لموقف الشيخ الإبراهيمي من علماء الكلام؛ حيث كان يتحسر على إضاعتهم الوقت، والجهد، وإشغال الأمة بما لا طائل تحته.

ويضارع هذا الموقفَ موقفُه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية التي تخالف طريقةَ السلفِ المستنيرةَ بالكتاب والسنة، القائمةَ على اليسر، الملائمةَ للفطرة، الخاليةَ من الجفاف والتعقيد، المتجافية عن التأويل الصارف للنصوص عن حقائقها، ومعانيها الصحيحة.

وأجلى ما يتبين به ذلك الموقف ما جاء في آثاره عند

كلامه على فلسفة جمعية العلماء؛ حيث تخلل ذلك البحث كلام عن القرآن الكريم، وكيف كانت سعادة المسلمين الأولين به؟ وتساءل عن سبب شقاء المسلمين وعندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ وكيف يتفرقون ويضلون وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى؟[1].

ثم أوضح أن سبب سعادة المسلمين الأولين إنما كانت بسبب اتِّباعهم ما جاء في الكتاب والسنة، ثم بيَّن ذلك بقوله: «أما إن المسلمين سعدوا بالقرآن، واتباع الرسول فهذا مما لا مراء فيه، وهو الحقيقة العارية التي جلَّاها التاريخ على الناس من جميع الأجناس، وزكاها بشاهدين من آثار العلم، ونتائج العقل»[2].

إلى أن قال: «فإن احْتُمِل أن يجهل هذه الحقيقة جاهل فَهُمْ سواد المسلمين قبل غيرهم، وإن وقف باحث عند الظواهر السطحية، وقال: سعدوا بالاتحاد مثلاً، قلنا له: وما الذي وَحَّدَهم بعد ذلك التفرق الشنيع غير القرآن؟.

أو قال قوم: استيقظت فيهم عواطف الخير، ونوازع الشرف حين ماتت الأمم فَسَادوها، وقادوها ـ قلنا لهم: نعم، ولكن

(١) انظر الآثار ١/ ١٥٨.

(٢) الآثار ١/ ١٩٩.

ما الذي أيقظ فيهم تلك العواطف، وتلك النوازع، وما هم إلا أناس من الناس؟.

بل قد كانوا قبل القرآن أضلَّ الناس، وليسوا من جذم[١] واحد حتى تتقارب فيهم النوازع الجنسية التي يتوارثها أبناء الجذم الواحد ويترابطون بها، ويسهل استيقاظها فيهم فجأة»[٢].

ثم أوضح أنه لا يعني بالمسلمين الأولين العربَ وحدهم، وإنما يعني بهم الأمم التي دانت بالإسلام في قرونه الأولى، والتي تربَّت في كنف القرآن: وتحت رعايته، وطُبِعَت على غرار الهدي المحمدي؛ فنالت ما نالت من العز، والمجد، والفتح[٣].

وبعد أن قرر ذلك المعنى بوضوح وتفصيل بيِّن سبب ذلك، وأنه أَخْذُهُم بالطريقة المثلى التي لا يقوم مقامَها طريقةٌ أخرى، وهي طريقة السلف الصالح فقال: «هذه هي الطريقة الواحدة التي اتبعها المسلمون الأولون؛ فسعدوا باتباعها، والاستقامة عليها.

(١) الجذم: هو الأصل، يقال: جِذم الشجرة، وجِذم القوم، ويقال: جِذم الرجل: أهله وعشيرته. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة د. إبراهيم أنيس، وزملاؤه ١/ ١١٣.

(٢) الآثار ١/ ١٥٩.

(٣) انظر الآثار ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

وهذا هو الإسـلام متجليًا في آيات القرآن: دين واحد جاء به نبيٌّ واحد عن إله واحد»[١].

إلـى أن قـال متسـائلاً: «وما ظنك بديـن تَحُفُّـه الوَحْدَة من جميـع جهاته؟ أليس حقيقًا أن يسـوق العالم إلـى عمل واحد، وغاية واحـدة، واتجاه واحد على السـبيل الجامعـة من عقائده وآدابه؟

أليس حقيقًا أن يجمـع القلوبَ التي فَرَّقـت بينها الأهواء؟ والنفوسَ التـي باعدت بينها النزعـات؟[٢]، والعقـول التي فَرَّق بينها تفاوت الاستعداد؟»[٣].

ثـم يجيب عـن تلك التسـاؤلات بقولـه: «بلـى ـ والله ـ إنه لحقيق بكل ذلك»[٤].

وبعد أن قرر ذلك أبان أن الإسـلام في جوهره عامٌّ مَنَّ الله به على العالم الإنساني، وأن الإسلام جاء بالدواء الشافي لعلل

---

(١) الآثار ١/ ١٦١.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: النَّزاعات.

(٣) الآثار ١/ ١٦١.

(٤) الآثار ١/ ١٦١.

العالم، حيث جاء بالتوحيد الخالص، مؤيداً بالأدلة التي تبتدئ من النفس[1].

ثم قال: «وإنَّ نظرةً في النفوس حين تتجلى بغرائبها، ونظرةً في الآفاق حين تتعرض بعجائبها لَتُفْضِيان بصاحبهما إلى اليقين الذي لا شك بعده.

وهذا هو ما حُرِمه البشر قبل نزول القرآن؛ فَوَقَفُوا في الطرفين المتناقضين من شرك وتعطيل، وهذا هو ما دعا إليه القرآن؛ فهداهم به إلى سواء السبيل»[2].

ثم تطرق بعد ذلك إلى تفرق الأمم الكتابية، وبَدْءِ تفرُّق المسلمين في الدين، وما كان من أثر المذاهب الكلامية في ذلك، ثم أبان ـ بعد أن فصل القول في ذلك ـ عن موقفه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية؛ حيث أبدى حزنه على أن تلك الطريقة التي عانت منها الأمة قروناً لازالت باقية إلى يومنا هذا.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في ذلك: «ومن المحزن أن دراسة علم التوحيد حتى في كلياتنا الراقية كالأزهر، والزيتونة لا تزال جارية على تلك

---

(١) انظر الآثار ١/ ١٦١.
(٢) الآثار ١/ ١٦١.

الطرائق، وفي تلك الكتب، ولا تزال تقرر فيها تلك الآراء، ولا تزال تذكر فيها أسماء تلك الفرق التي لم يبق لها وجود، ويَسْتَعْرِضُ سيدُنا المدرسُ تلك الآراء، ثم يدحضها، ويقيمها ثم ينقضها.

وتقتطع أوقات الطلبة المساكين في ذلك، ويا ضيعةَ الأعمار!»[1].

إلى أن يقول ناعياً على تلك الطريقة: «أما الشبهات التي يوردها كلَّ يومٍ ملاحدةُ العصر، ومبشرو المسيحية على الإسلام، ويفتنون بها العلماء فضلاً عن العوام ـ فإن كلياتنا العلمية الدينية، ومدرسيها لا يعيرونها أدنى اهتمام، ولا يَعْمُرُون بها وقت الطلبة؛ فيا للفضيحة!»[2].

ثم بيَّن بعد ذلك طريقة القرآن في تقرير التوحيد، وأنها جاءت بأجلى بيان، وأكمل برهان[3].

وقال في موضع آخر ـ بعد أن تكلم على توسع الطريقة العقلية لأئمة الكلام كالفخر الرازي، وابن الباقلاني، وغيرهم، وأن هؤلاء هم الذين ثَبَّتوا القواعد الكلامية، والاستدلال على التوحيد بالعقل ـ

---

(١) الآثار ١/١٦١ ـ ١٦٧.

(٢) الآثار ١/١٧٦.

(٣) انظر الآثار ١/١٧٦.

قـال: «ومؤلفاتهم ما زالت إلـى يومنا هذا مرجعًا للمتمسـكين بهذه الطريقة، وإن كانت لا تدرس في المدارس إلا قليلاً.

وكلهـا جاريـة علـى الأصـول التـي أصَّلهـا أبو الحسـن الأشعري رضي الله عنه وآراؤه هي التي يقلدها جمهرة المسلمين اليوم، وهذا كله في الشرق الإسلامي»[١].

ثم بين حـال بلاد المغـرب والأندلـس حيـال تدريس علم الكلام، فقال: «وأما مغربنا هذا مع الأندلس فلم يتسـع فيه علم الكلام إلى هـذا الحـد وإن كانوا يدرسـونه على هـذه الطريقة، ويقلدونه، ويدينون باتباع رأي الأشعري، ولـم يؤلفوا فيه كتابًا له بال إلا الإمام محمد بن يوسـف السنوسي التلمساني؛ فإنه ألف فيه على طريقة المشارقة عدة كتب شاعت، وانتشرت في الشرق والغرب، وقُرِّرت في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر»[٢].

ثم بيَّن أن تلك الطريقة استمرت في قُطْرِهم إلى أن جاءت دروس الإمام ابن باديس، فأحيا بها طريقة السـلف في دروسه؛ فكانت ـ كما يقرر ـ هي الطريقة المثلى لتدريس العقيدة[٣].

---

(١) الآثار ٥/ ٣١٥.

(٢) الآثار ٥/ ٣١٥.

(٣) انظر الآثار ٥/ ٣١٦.

يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ فـي ذلـك: «حتـى جـاءت دروس الإمـام ابـن باديـس؛ فأحيـا بهـا طريـق السـلف فـي دروسـه، ومنهـا هـذه الدروس، وأكملتها جمعية العلماء[١].

فمـن مبادئهـا التـي عملت لهـا بالفعل لـزوم الرجـوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله»[٢].

ثم قال منوهاً بتلك الطريقة: «فإن الطريقة المثلى للاستدلال على وجود الله، وصفاته، وما يرجع إلـى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن؛ لأن المؤمن إذا اسـتند في توحيـد الله، وإثبات ما ثبت له، ونَفْي ما انتفى عنه ـ لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة»[٣].

ثـم يعلـل لذلـك بقولـه: «فالمؤمـن إذا سـولت لـه نفسـه المخالفـة فـي شـأن مـن أمـور الآخـرة، أو صفـات الله ـ فإنها لا تسول له مخالفة القرآن»[٤].

ولا يعني بقوله الآنف: «بآية قرآنيـة محكمة...» أنه لا يرى الاستدلال على مسائل الاعتقاد إلا بالقرآن دون السنة.

---

(١) يعني أن الجمعية أكملت السير على تلك الطريقة.

(٢) الآثار ٥/٣١٦.

(٣) الآثار ٥/٣١٦.

(٤) الآثار ٥/٣١٦.

وإنما مقصوده أن سلطان القرآن قد عاد من جديد؛ بدلالة قوله: «وقد سلك علماء جَمْعِية العلماء في دروسهم الدينية كلها، وخطبهم الجُمَعِيَّة طريقةَ الإمام ابن باديس؛ فرجع سلطان القرآن على النفوس؛ فجزى الله أخانا ابن باديس عن الإسلام خير الجزاء؛ فإن من أحيا القرآن فقد أحيا الدين كلَّه»[١].

ويؤكد ذلك قوله بعد هذا الكلام: «وهذه دروس من دروسه ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية[٢] بدلائلها من الكتاب والسنة الأستاذُ محمد الصالح رمضان أحد طلابه؛ فجاءت عقيدة مُثلى يتعلمها الطالب؛ فيأتي منه مسلمٌ سلفيٌّ موحدٌ لربه بدلائل القرآن كأحسن ما يكون المسلم السلفي، ويستدل على مايعتقده في ربه بآية من كلام ربه»[٣].

وقال قبل ذلك منوهاً بتلك الطريقة، مغتبطاً بها: «وقد راجت هذه الطريقة، وشاعت حتى بين العوام، وإن كانوا لا يحسنون الاستدلال بالقرآن، وإن كان الاستعداد الكامن في الأمة

---

(١) الآثار ٥/٣١٦.

(٢) هذا الكلام ضمن كلمة كتبها الإبراهيمي مقدمة لكتاب (العقائد الإسلامية) لابن باديس.

(٣) الآثار ٥/٣١٦.

للإصلاح الديني، وكثرة حفـاظ القرآن فيها أعانا على تثبيت هذا الميل القرآني فيها؛ فأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث اهتز، وشاعت في شمائله علامةُ الاقتناع والقبول.

وهذه أمارةٌ دالةٌ على عودة سلطان القرآن على النفوس»[1].

وبهذا ينتهي هذا المطلب الذي دار حول موقف الإبراهيمي من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية.

المطلب الثاني:
بيانُه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة

لقد كان من موقف الشيخ الإبراهيمي من علم الكلام بيانُه لما يترتب عليه من الآثـار؛ إذ يرى أن لعلم الكلام آثـاراً تَرْبـُو خسارتها على ربحها.

ويرى أن أعظـم تلك الآثار ما ترتب علـى علم الكلام من التفـرق في الديـن، وما يسـتتبعه من مفاسـد؛ فذلـك مما أبدى حوله وأعاد.

---

(١) الآثار ٥/ ٣١٤، وانظر كلاماً نحو هذا في مواضع كثيرة من الآثار كما في ١/ ١٦، و٢١٠، و٢٨٤ ـ ٢٨٥، و٣٧٧، و٢/ ٢٢٧.

وقد مَرَّت الإشارة إلى ذلك ضمنًا في المطلب السابق.

وأعظم ما جلَّى فيه ذلك الأمر ما جاء في الجزء الأول من آثاره، وذلك عند كلامه على بدء تفرق المسلمين في الدين.

وفيما يلي بيان لأهم جاء في ذلك الموضع مما قرره في هذا الشأن.

أولاً: بيانه لمبدأ ذلك التفرق: حيث قرر أن أولَ ما نشأ في المجتمع الإسلامي من جراثيمِ[1] التفرقِ في الدين الكلامُ في القدر[2].

وقارَنَ ذلك ـ كما يقرر ـ حدوثُ الخلاف في الخلافة: هل هي شعبة من الدين تفتقر إلى تنصيص من الشارع[3]؟

---

(١) الجراثيم: جمع جرثومة، وهي أصل كل شيء، ومجتمعه. انظر المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ص٩٨.

(٢) حيث كان أول ظهور للقول بالقدر وإنكاره في البصرة، ودمشق؛ وذلك في أواخر عهد الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله ﷺ فاشتد نكيرهم على تلك البدعةِ، وأصحابِها. انظر السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، والحجة في بيان المحجة ٢/ ١٥ ـ ١٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٤/ ٦٢٥، و٦٩٤ ـ ٧٣٠.

(٣) يعني بذلك قول الشيعة في أن خلافة علي رضي الله عنه نَصِّيَّة من عند الله؛ =

أو هـي مصلحـة دنيوية ترجـع إلى اختيـار أهل الـرأي من الأمة؟[١].

ثم قال: «وقد سـبق الخـلاف العملي الخـلاف العلمي في هذه المسألة[٢]، وهي المعترك الأول الذي اشتجرت فيه الآراء حتـى تطرفـت بعـد أن اشـتجرت فيـه الرمـاح حتى تَقَصَّفَت.

كما أنها أول مسـألة امتزجت فيها الأنظـار الدينية بالأنظار الدنيوية أو السياسية ـ كما يقولون اليوم ـ.

وفي هذا المعترك نبتت جرثومة التعصب الخبيثة»[٣].

= فهم يـرون أن الإمامة منصب إلهـي كالنبوة، وأن الإمامـة تثبت لعلي مباشـرة بلا فصل ولا تـراخٍ، بعد النبـي ». انظر جامع الرسـائل لابن تيمية ١/ ٢٦٢، وأصول مذهـب الشـيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقـد، د. ناصـر القفـاري ٢/ ٦٥٣، ومختصر التحفة الاثني عشـرية، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ص١١٦ ـ ١٢٣، عقيدة الإمامة عند الشـيعة الاثني عشرية دراسـة في ضوء الكتاب والسـنة، د. علي السالوس ص٢٨ ـ ٣٣.

(١) انظر الآثار ١/ ١٦٤.

(٢) يعني مسألة الخلافة.

(٣) الآثار ١/ ١٦٤.

ثانياً: تنبيهه لأثر التوسع في الفتوحات: حيث أوضح أن الإسلام ـ بسبب تلك الفتوحات ـ قد بسط ظله على كثير من الممالك التي كانت لها آثارها من عُمْرانٍ، وشيءٍ من سلطان.

وأن أمماً كثيرةً قد دانت للإسلام، وأن في كلٍّ أمةٍ طوائفَ دخلت في الإسلام وهي تحمل أوزاراً من بقايا ماضيها؛ فما كادت هذه المجموعات البشرية تمتزج، ويفعل الإسلامُ فيها فِعْلَه حتى ظهرت أعراض التفرق؛ فظهر بسبب ذلك أصحاب المقالات في العقائد، وأحدثوا بدعة التأويل ـ كما يقول ـ[1].

ثالثاً: بيانه لأثر حركة الترجمة: حيث قرر أن الدواعي توافرت لظهور المذاهب الفقهية، والمذاهب الكلامية، والمذاهب الصوفية في أزمنة متقاربة.

وأوضح أن ترجمة الفلسفة اليونانية، والحكمة الفارسية والهندية أقوى الدواعي لتعدد المذاهب الكلامية، خصوصاً الفلسفة اليونانية بما أتت به من بحث في الإلهيات على الطريقة العقلية الصِّرْفَة، وبما غَذَّت به المتكلمين من الأنظار المختلفة، وأمدَّتهم به من طرائق الجدل، وقوانينه[2].

---

(١) انظر الآثار ١/ ١٦٤.

(٢) انظر الآثار ١/ ١٦٤.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن قرر ذلك: «وهذا هو مبدأ التفرق الحقيقي في الدين؛ لأن المتكلمين يزعمون أن علومهم هي أساس الإسلام»[١].

رابعاً: إيضاحه لمقدار جناية علم الكلام على وَحْدة المسلمين: قال رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: «وأما المذاهب الكلامية فلم يكن أثرها بالقليل في تفرق المسلمين، وتمزيق شملهم»[٢].

ثم يبيِّن مقدار ذلك التفرق الحاصل بسبب علم الكلام، فيقول: «ولكنها[٣] لَمَّا كان موضوعها البحث في وجود الله، وإثبات صفاته، وما يجب له من كمال، وما يستحيل عليه من نقص ـ كل ذلك من طريق العقل ـ كانت دائرتها محدودة، وكان التعمق فيها من شأن الخواص، وقعد بالعامة عن الدخول في معتركها إحساسُها بالتقصير في أدواته من جدل، وعقليات يُحتاج إليها في مقامات المناظرة والحجاج»[٤].

---

(١) الآثار ١/ ١٦٤.

(٢) الآثار ١/ ١٦٦.

(٣) يعني المذاهب الكلامية.

(٤) الآثار ١/ ١٦٦.

ثم يعقـد مقارنة بيـن علم الـكلام، وعلـم التصـوف؛ مبيناً مقـدارَ جنايـةِ كلٍّ واحدٍ منهما فـي تفرق الأمة؛ فيقـول: «فليس علم الكلام كعلم التصـوّف مطيةً ذلولاً يندفـع لركوبها العاجز والحازم؛ فالتصوف شـيء غامض يُسـعى إليه بوسائل غامضة، ويسهل على كل واحد ادعاؤه، والتلبيس به»[1].

ثم يعلل لذلك بأن مدعي التصـوف إذا خاف الفضيحة لم يَعْـدَمْ سـلاحًا مـن الجمجمـة، والرمـز، وتسـمية الأشـياء بغير أسـمائها، ثـم الفـزع إلـى لـزوم السـمت، والتـدرع بالصمت، والإعراض عن الخلـق، والانقطاع والهروب منهـم ما دام هذا كله معدودًا في التصوف، وداخلاً في حدوده[2].

ثم يقول بعد أن قـرر ذلك: «ولا كذلك علـم الكلام الذي يفتقر إلى عقل نَيِّر، وقريحة وقادة، وذكاء نافذ.

ويحتـاج مُنتحِلُـه إلـى براعـةٍ وَلَسْـنٍ، ومران علـى المنطق ومقدماته، ونتائجه، وأقيسته، وأشكاله»[3].

إلى أن يقول متسائلاً ومجيباً: «ولِمَ كل هذه العُدَدِ؟

---

(١) الآثار ١/١٦٦.

(٢) انظر الآثار ١/١٦٦.

(٣) الآثار ١/١٦٦.

كل هذه العدد للمناظرات، وما تستلزمه من إيراد، ودفع، وإفحام، وإلزام»[١].

ثم يقرر أن جناية التصوف ـ من هذه الناحية ـ تربو على جناية علم الكلام؛ فيقول: «وأين العامة من هذا كله؟

لذلك لم يكن لها من حظ في هذا العلم إلا معرفة أسماء بعض الفرق والانتصار لها انتصارًا تقليديًا.

ولذلك كانت آثارُ التفريقِ الناشئة عن هذه المذاهب الكلامية قاصرةً على طبقات مخصوصة، ولم تتغلغل في العامة كما تغلغلت آثار التصوف»[٢].

ثم يقول زارياً على تلك الفِرَق الكلامية، مستبشراً بانقراضها: «وقد انقرضت تلك الفرق، وانقرض بانقراضها سبب جوهري من أسباب التفرق، بل مات بموتها[٣] شاغلٌ طالما شغل طائفةً من خيرة علماء المسلمين ببعضهم، وجعل بأسهم بينهم شديدًا، وألهاهم بما يضر عما ينفع.

---

(١) الآثار ١/١٦٦.

(٢) الآثار ١/١٦٦.

(٣) الحقيقة أن تلك الفرق أو أكثرها لم تنقرض، بل هي باقية إلى اليوم، ولها من ينافح عنها، ويتعصب لها.

تلاشت تلك الفرق، ولم تبقَ إلا أخبار معاركها الجدلية في كتب التاريخ، وإلا آراؤها المدونة في كتبها فتنةً للضعفاء، وتبصرةً للحصفاء»(١).

ويقول في موضع آخر في مقال له عنوانه: (دولة القرآن) مبيناً أسباب هجر المسلمين للقرآن، ذاكراً أن منها علم الكلام، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وغلت طوائف أخرى في تمجيد العقل؛ فاستشرف إلى ما وراء الحدود المحددة له، وتسامى إلى الحظائر الغيبية؛ فتشعَّبت به السبل إلى الحق في معرفة الله، وتوحيده، ونَجَمت لذلك ناجمةُ علمِ الكلام، وما استتبعه من جدل، وتأويل، وتعطيل»(٢).

ثم بيَّن ما جره ذلك على الأمة من تفرق، وما استتبع ذلك من بلاء وفتنة؛ فقال: «وتشابهت السبل على عامة المسلمين؛ لكثرة هذه الطوائف، فكان هذا التفرّق الشنيع في الدين أصوله وفروعه.

وفي غمرة هذه الفتن بَيْن علماءِ الدين ضاع سلطانهم الدينيُّ على الأمة؛ فاستبدّ بها الملوك، وساقوها في طريق

---

(١) الآثار ١/١٦٦، وانظر ٥/٣١٤ ـ ٣١٥.

(٢) الآثار ٤/٢٢٨.

شـهواتهم؛ فأفسـدوا دينهـا، ودنياهـا وكان مـا كان مـن هذه العواقب المحزنة»[١].

وهكذا يتقرر من خلال ما مضى في هذا المطلب بيانه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة، ومدى ذلك الأثر.

* * *

(١) الآثار ٤/٢٢٨.



الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة البحث هذه خلاصة لأهم ما تضمنه من نتائج:

١ ـ الشيخ البشير الإبراهيمي (١٣٠٦ ـ ١٣٨٥هـ) عالم جزائري سلفي موسوعي، كتب حوله دراسات كثيرة، وله مؤلفات عِدَّة، وعناية بموضوعات عقدية فكرية وغيرها.

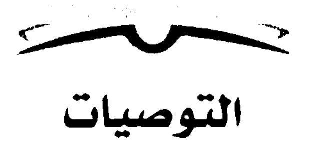
٢ ـ للشيخ الإبراهيمي موقف من علم الكلام؛ يتجلى من خلال إنكارِه ما أحدثه علماء الكلام من التأويل، وتحسُّرِه على ما أضاعوه من جهد في ذلك السبيل.

٣ ـ وله موقف من تدريس علم العقيدة على الطريقة الكلامية؛ إذ يرى أن تلك الطريقة مخالفة لطريقة السلف، وأن جدواها قليلة، وضررها أكثر من نفعها، وأن الأولى والأوجبَ: الأخذُ بطريقة السلف القائمة على الكتاب والسنة، وملائمة الفطرة.

٤ ـ يرى أن لعلم الكلام أثراً في تفرق الأمة، بسبب ما أورثه من خلاف، وتشتت.

فهذا هو خلاصة ما جاء في ذلك البحث.

* * *



التوصيات

من خلال النظر في آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتضح أن هناك موضوعات عقدية في تلك الآثار يحسن الوقوف عندها ودراستها، ومما يوصى به في ذلك الشأن ما يلي:

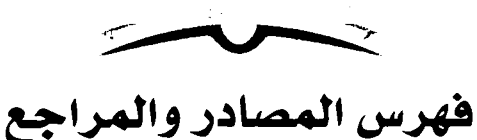
١ ـ موقفه من الشرك والبدع. ٢ ـ موقفه من الصوفية الطرقية. ٣ ـ موقفه من التنصير. ٤ ـ موقفه من ظاهرة الإلحاد.

٥ ـ موقفه من ظاهرة الفرقة بين المسلمين، ودعوته إلى الاجتماع. ٦ ـ منهجه في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية.

فهذه موضوعات مهمة تعرض لها الشيخ في آثاره، وهي موضوعات صالحة للدراسة.

والحمد لله أولاً، وآخراً، وظاهراً، وباطناً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *



فهرس المصادر والمراجع

١. آثار ابن باديس، إعداد د. عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ٤، ٢٠٠٨م.

٢. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٣. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ب.ت).

٤. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ.

٦. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٧. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط ٤، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٨. الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، أشرف على طبعه محمد زهري النجار.

٩. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحقيق مجموعة من المحققين، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٠. البيان عن الفَرق بين المعجزات، والكرامات، والحيل، والكهانة، والسحر، والنارنجات، لأبي بكر الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م، منشورات جامعة الحكمة، بغداد.

١١. التاريخ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ.

١٢. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢م، تأليف د. عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م

١٣. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

١٤. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، ط القدسي، دمشق ١٣٤٧هـ.

١٥. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٦. ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٧. التعريفات، تأليف: الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٨. التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي الشافعي، حققه: إبراهيم شمس الدين، وأحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٤، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

١٩. جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٠. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢١. الذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي، عناية محمد زاهد الكوثري، نشر عزت العطار الحسيني، ط٢، ١٩٧٤م.

٢٢. رسالة أبي حيان في العلوم، لأبي حيان التوحيدي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٨م.

٢٣. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد محمود أبو رحيم، ط١، ١٤١١هـ، دار الراية للنشر والتوزيع.

٢٤. السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق ودراسة د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥. سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٢٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن عماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

٢٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

٢٨. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، مطبعة الاستقلال الكبرى.

٢٩. شرح جواب ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر للطوفي، مخطوط.

٣٠. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

٣١. شعب الإيمان للبيهقي، حققه، وراجع نصوصه، وخرج أحاديثه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٣٣. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أديب ألمعي، وخطيب مِصْقَع، تأليف سليمة كبير، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر، والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٣م

٣٤. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، ط١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٥. العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي، ط ٢، ١٤٠٤هـ، الجامعة الإسلامية.

٣٦. عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية دراسة في ضوء الكتاب والسنة، د. علي السالوس، دار الاعتصام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٧. فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٨. الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، دراسة، وتحقيق

د. حمد ابن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٩. الفَرْق بين الفِرَق لعبد القاهر البغدادي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٤٠. الفلسفة المعاصرة في أوربا، إ. م. بوشنسكي، ترجمة عزت قرني، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

٤١. الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدّد، طهران ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٤٢. الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخة

خطيـة، وأعدَّه للطبـع: د. عدنان درويـش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٣. لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر، بيروت.

٤٤. لسـان الميـزان لابـن حجـر، اعتنـى بـه عبد الفتـاح أبو غدة، واعتنى بإخراجه وطباعته سـلمان عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٥. مجموع فتاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسـم وابنه محمد، طبع بأمر خادم الحرمين الشـريفين، الملك فهد ابن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٤٦. المحلى بالآثار لابن حزم، دار الفكر، بيروت، (ب. ط. ت).

٤٧. مختصـر التحفـة الاثني عشـرية، تحقيق وتعليـق محب الدين الخطيـب، الرئاسـة العامـة لإدارات البحـوث العلميـة الإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٤٨. مدخـل لدراسـة الفلسـفة المعاصرة، د. مهـران رشـوان، دار الثقافة والنشر، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٩. المصبـاح المنيـر فـي غريـب الشـرح الكبيـر للرافعـي، تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي.

٥٠. المعتزلة لزهدي جارالله، الأهلية للنشر، والتوزيع، بيروت، ١٩٧٤م.

٥١. المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٢. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م..

٥٣. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت ـ لبنان.

٥٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة د. إبراهيم أنيس، وزملاؤه، عني بها عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، على نفقة إدارة إحياء التراث بدولة قطر.

٥٥. المواقف في علم الكلام للإيجي، عالم الكتب، بيروت.

٥٦. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف شفيق غربال، دار الشعب، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٧٢م.

٥٧. مفتاح السعادة، ومصباح السيادة، لطاش كبري زاده، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبط

هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٩. مفهوم التفسير والتأويل، والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٠. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦١. المنية والأمل، لأحمد بن يحيى المرتضى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، تحقيق د. عصام محمد علي.

٦٢. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٣. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة، د. قدرية عبد الحميد شهاب الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ.

٦٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٦٥. النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٦. نقض المنطق لابن تيمية، تحقيق الشيخ: محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ سليمان الصنيع، وصححه الشيخ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية (ب. ت).

٦٧. وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

* * *

الفهرس

المبحث الثاني:

موقف الإبراهيمي من علماء الكلام

المبحث الثالث:
موقِفُه من تدريس العقيدة على الطريقة الكلامية، وبيانُه لأثر علم الكلام في تفرق الأمة

* * *